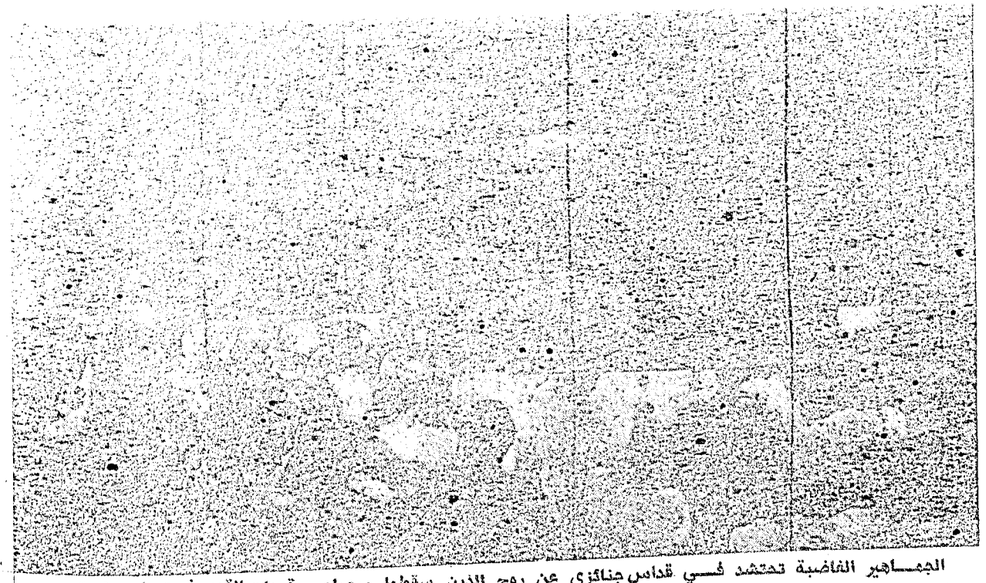

الجماهير الغاضبة تحتشد في قداس جنائزي عن روح الذين سقطوا برصاص قوات القمع في « باسوري »

مائة يوم ساخن من عهد الملكية الفرانكوية

● اضرابات • تظاهرات • اعمال عنف • انها عناوين اخبار اسبانيا من اسبوع لاسبوع ، ومنذ قيام نظام الحكم الملكي قبل مائة يوم • مائة يوم من الوعود بدرجة من الليبرالية ، ولكن الصورة تعبر جيدا عما يستطيع ان يمنحه هذا الحكم للشعب الاسباني • مجرد وجه جديد للفاشية • التحركات الجماهيرية تقمع بالقوة • قوات الامن تستخدم قنابل الغاز والهراوات والرصاص بالالفة السابقة ذاتها • الاضراب المحدود يتحول الى حركة اضرابية عامة ، وتؤدي التظاهرة الواحدة، الى انفجار تظاهرات استنكار اخرى• تقمع الشرطة تظاهرة بالقوة فتستفز الجماهير الى تظاهرات استنكار ، وهكذا دواليك في دائرة الغليان الذي لا يبدو انه سيفتر قريبا •

ان ما جرى في الاسبوع ما قبل الماضي في بتوريا ، العاصمة الاقليميه في بلاد الباسك يمكن أن يكون صورة مصغرة للازمه الاسبانية يمزق نظام الحكم الاسباني : فتحت قوات الشرطة النار على عمال مضربين فقتلت ثلاثة وجرحت مائة عامل • والناحيه الابرز في الحادثة ان الاضراب كان لدوافع مطلبيه • لقد حاولت السلطة ليس فقط استعراض عضلاتها القمعية بل استخدامها ارهابا • ولكن النتيجة جاءت عكس ما كان يتأمله الفاشيون المقنعون •

يوم النضال

لقد رد العمال بتحديد يوم للاضراب العام أطلق عليه اسم « يوم النضال » • وفي ذلك اليوم وضع العمال معداتهم وادواتهم جانبا ، ونزلوا الى الشارع لتنضم اليهم الجماهير المنظمة • نصف مليون عامل قادرا ما كان أكبر تظاهرة جماهيرية تشهدها اسبانيا منذ الحرب الاهلية حتى اليوم • ورغم تدخل قوات الامن بقنابل الغاز والهراوات ، فقد سيطرت هذه التظاهرة الضخمة على الشوارع طيله ذلك النهار •

وكانت تلك التظاهرة ابرز استعراض للقوة الشعبية المنظمة ، تواجهها السلطة في مدريد • وقد جاءت دليلا واضحا على قوة اليسار الاسباني عندما ينسق كجبهة واحدة • فقد شارك في تنظيم هذه التظاهرة السياسيه الضخمة كل من الشيوعيين والاشتراكيين واليسار الكاثوليكي والنقابات السرية وحركة استقلال بلاد الباسك • وكانت هي المرة الاولى منذ ٣٧ عاما التي تنسق فيها كل هذه المجموعات السياسية للقيام بعرض رئيسي لقوتها الجماهيرية •

وقد نجحت الى حد كبير • فالاستقطاب الجماهيري الذي حققته في اقاليم الباسك في شمال اسبانيا ، قد أثار قلقا كبيرا في مدريد ، وافقد السلطة اعصابها ، كما انعكس في المواجهات التي توالت بعد « يوم النضال » ، حيث سقط المزيد من الشهداء في عمليات قمع الاضرابات والمظاهرات • وعندما اعلن ان المسؤولين بان الوضع في بلاد الباسك « خطير ، وخطير جدا » ، فان هذا القول كان ينطبق على الوضع في اسبانيا ككل •

ففي خلال المائة يوم على تسلم خوان كارلوس للحكم لم تتجه الحكومة خطوة حقيقة باتجاه الاصلاح الديمقراطي ، الموعود حتى ان الليبراليين قد بدأوا يطالبون الحكومة باليدء فورا بتحقيق ما وعدت به ، ولكن في وقت اصبحت فيه امالهم باستجابتها أقل من حجم خوفهم من تحرك القيادات العسكرية اليمينية • فقد أصبح واضحا لدى هؤلاء ان دعاة الانفتاح الليبرالي في الحكومة هم اسرى اليمين الرجعي المتزمت الذي يقوده رئيس الحكومة ، خليفة فرانكو في زعامة الحركة الفاشية ، المدعوم من الجنرالات • وهؤلاء يعتبرون انفسهم حماة الاستمرارية الفرانكوية •

الوجه مألوف

في الواقع تشير المعارضه الى ان ممارسات الحكومة تكذب وعودها وتسقط القناع عن الوجه الفاشي المألوف • فخلال الاشهر الثلاثة الاخيرة وهو عمر حكومة خوان كارلوس الاولى ، صدر عدد من التشريعات يدين مصداقية الحكومة ، ويؤكد ان فارقا شاسعا بين تصريحات الوزراء التي تتملق الديمقراطية ، وبين نواياهم الحقيقية • وعلى سبيل المثال ، فقد أصدرت الحكومة التشريعات التالية :

● زيادة مخصصات التقاعد فقط للاشخاص الذين قاتلوا في الحرب الاهلية الى جانب فرانكو •

● تحريم نشر استفتاءات سياسية اذا لم تكن تتوافق مع « مبادىء الحركة » ـ التنظيم الكتائبي الفاشستي •

● ضرورة حمل بطاقة الهوية في كل الاوقات، وابتداء من سن الرابعة عشر عوضا عن السادسة عشر كما كان في السابق •

وحتى في التشريعات المقترحة او التي تقررت ، فان ما فيها من بنود تنفي تأثيرها كتشريعات ليبرالية ، بحيث يبدو هدف الحكم واضحا ، ليس في الاصلاح الديمقراطي ، بل في اعطاء وجه جديد للفاشية الفرانكوية •

وان ما حدث في العاصمة الاقليمية في بلاد الباسك مؤخرا كان مجرد تصعيد عنيف لسياسة القمع التي تتبعها حكومة الملك خوان كارلوس في مواجهة النضالات العمالية المتنامية في المراكز الصناعية في البلاد • فاستخدام قوة النيران لقمع اضرابات ومسيرات عمالية ترفع شعارات مطلبية ، في « فيتوريا » وفي « باسوري » قد جاء من بعد لجوء الحكومة الاسبانيه الى احدى الوسائل الفرانكوية القديمة لفك الاضرابات العمالية بالقوة : اصدار قرار بتجنيد العمال المضربين نظريا ، وتوجيه « الامر العسكري » بعودتهم الى العمل تحت طائلة القانون العسكري •

واذا كان هذا الاسلوب الفاشي قد نجح في حل بعض الاضرابات العمالية فانه فشل في صدموجة الاضرابات العمالية • وقد كانت حصيلة اضرابات الشهرين الاولين من هذا العام ٣٦ مليون ساعة عمل • وهذا الرقم يبلغ ضعف حصيلة السنة الماضية كلها من الاضرابات العمالية • وقد كانت حركة الاضراب العمالي في فيتوريا قبل اسبوعين تطالب بتخفيض ساعات العمل الى ٤٠ ساعة في الاسبوع وزيادة الاجور ، وتحسين ظروف العمل • ولكن حكومة ارياس نافارو اليمينية لم تتحمل حتى التحرك العمالي المطلبي • وكان استخدام قوات القمع لقوة النار ضد العمال هناك ، دليلا على ان الحكومة لا تزال مصرة على استخدام لغة القوة في الحوار بين العمال والادارات حول هذه المطالب • وهي لم تتردد في تكرار الاوامر لقوى الشرطة باطلاق النار على المتظاهرين الذي كانوا يجتمعون في احدى كنائس فيتوريا ، دون أن تأبه لنتائج مثل هذا التعدي على حرمة الكنيسة •

جنرال « منقذ » ؟

ان التحركات العمالية الصارمة ، وسياسة القمع التي تتبعها السلطة لمواجهتها والتي تشعل أكثر فأكثر السخط الشعبي ، لانها تبين حقيقة نوايا الحكومة من المطالب الشعبية الملحة الحياتية والسياسية، تدفع عجلة العمل نحو التوقف• و يدعو اليمين الى المزيد من « البطش » ضد يصفونهم بـ « المتطرفين » ، فان المعارض الليبرالية تدعو خوان كارلوس الى الاسراع با خطوات باتجاه الاصلاح الديمقراطي كالسبيل الـ للخروج من المأزق •

كيف سيستجيب الملك ؟ المراقبون يتحدثون قلق الملك من تدهور الوضع ، وضيقه من ر نافارو للحكومة وبانه يبحث عن شخصية بد « أكثر قدرة » في وضع حد لهذا التدهور • البديل فيقول المراقبون ان الملك يفكر بج يستطيع ان يستقطب حوله قيادات القوات الم اليمينية المتزمتة ••• (!)

ان مثل هذا التوجه لخوان كارلوس من ش زيادة الغليان العام في البلاد• فاستبدال الفرا العتيق المتعنت ارياس نافارو بعنصر من قي الجيش المغرقة في رجعيتها والتي طالما كان السند القوي الوحيد للديكتاتورية الفرانكوية م صعودها سيكرس الاستمرارية الفرانكورية و حدا لامال التيار الليبرالي بالدرجة الاولى ، بد يسمى اليوم بالمرحلة الانتقالية • وهذه القي كانت قد اوضحت من قبل انها لن تبقى متفر ولن تتردد في التدخل فيما لو فقدت السلط سيطرتها على النشاط اليساري •

ولكن من سيتحرك قبل من ؟ السؤال مط اليوم أكثر من قبل ، من بعد اعتقال وما الضباط الثمانية الذين ادينوا في الاسبوع الما بتهمة الانتماء الى « الاتحاد العسك الديمقراطي » ، وهو تنظيم سري للضب الديمقراطيين في القوات المسلحة • فوجود ه التنظيم السري يشكل نقطة ضعف رئيسية ف السند الوحيد لحكم الفاشية المستمر ، الامر يقلل أكثر فأكثر من فرص نظام الحكم اليمي الرجعي في اللجوء الى حل « الجنرال المنق للخروج من مأزقه •

لغة البطش التي لا يجيد نظام الحكم غيرها : الشرطة تستف الهراوات ضد المتظاهر